وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية / اللغة

الدراسات العليا / دكتوراه

المحاضرة الرابعة

التخصيصُ الصرفيّ في غير موضعه

أستاذ المادة

أ . د . خولة محمود فيصل

١٤٤٦ هـ

٢٠٢٥ م

التخصيصُ الصرفيُّ : هو الحكمُ على الصيغةِ الصرفيَّةِ بأنها تُستعمَلُ استعمالًا خاصًّا، فصيغةُ [فَعَّال] في الوصفِ [قَتَّال] تُستعمَلُ استعمالًا خاصًّا فتُطلَقُ على المبالغِ في [القَتلِ] دونَ مَن سواهُ. أَما صيغةُ [فَاعِلٍ] في الوصفِ [قَاتِل] فإنها تُستعمَلُ استعمالًا عامًّا، فتُطلَقُ على المبالغِ في القتلِ وغيرهِ بلا تنصيصٍ على معنى المبالغِة أو عدمِها.

وقد غفلَ بعضُ الصرفيينَ فقالوا بالتخصيصِ في غيرِ مواضعِهِ؛ لأنَّهم اعتمدوا على الاستقراءِ الناقصِ، ومن أمثلةِ ذلكَ في الأفعالِ:

١. يرى ابنُ مالكٍ ومن تابعَهُ أَنَّ الفعلَ المزيدَ [فَتَّحَ] يدلُّ على التكثيرِ الكميِّ، بأن يكونَ المفعولُ بهِ كثيرًا، فيقال: [فَتَّحتُ الأَبوابَ]، وهذا يعني أنَّ المجرَّدَ [فَتَحَ] لا يقعُ على المفعولِ بهِ الكثيرِ، وإلا فما الفرقُ بين المجرّدِ والمزيدِ عندهم؟

والصوابُ جوازُ ذلك، فقد غفلوا عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ، وقوله تَعالَى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ [القمر: ١١] .

٢. يرى الرضيُّ الأستراباذيُّ عدمَ جوازِ وقوعِ الفعلِ المزيدِ [غَلَّقَ] على الاسمِ المفردِ [الباب]؛ لأنه يرى أَنَّ صيغة [فَعَّلَ] هنا للتكثيرِ الكمّيِّ، فلا يقالُ: [غَلَّقتُ البابَ]، بل يقالُ:[غَلَّقتُ الأَبوَابَ]. فصيغةُ المزيدِ [غَلَّقَ] عندهُ مختصةٌ بالمفعولِ بهِ الكثيرِ، فلا تُستعمَلُ مع المفعولِ بهِ القليلِ.
والصوابُ أَنَّ الفعل المزيدَ [غَلَّقَ] يَحتَمِلُ التكثيرَ الكَمِيَّ، والتقليلَ الكَمِّيَّ، وأنَّه مقَيَّدٌ بمَعنى المبالغةِ الكَيفيَّةِ، لا المبالغةِ الكَمِيَّةِ، فَيَصحُّ أَن يقالَ: [غَلَّقتُ البَابَ] بمعنى: بَالَغتُ في إِغلَاقِهِ .

قال أبو زَيدٍ الأَنصاريُّ: ((إِلاَّ أَنَّ [أَفعَلتُ] يَجُوزُ أَن يُقَالَ لِمَن فَعَلَ الشَّيءَ مَرَّةً ولِمَن فَعَلَهُ كَثِيرًا .. و [فَعَّلتُ] لا يَكُونُ إِلا لِلتَّكثِيرِ، كَقَولِكَ: أَغلَقتُ البَابَ ، وغَلَّقتُ الأَبوَابَ. فَإِن قُلتَ: غَلَّقتُ البَابَ، لَم يَجُز إِلا عَلَى أَن تَكُونَ قَد أَكثَرتَ إِغلاقَهُ)) ، وقَالَ الراغب الأَصفَهَاني: ((وَغَلَّقتُهُ على التَّكثِيرِ، وَذَلِك إِذَا أَغلَقتَ أَبوابًا كَثِيرَةً أو أَغلَقتَ بَابًا وَاحِدًا مِرَارًا، أو أَحكَمتَ إِغلاقَ بَابٍ)).

وقد استَعمَلَ عروةُ بنُ أذينةَ الفعلَ المزيدَ [غَلَّقَ]، وأسندهُ إلى نائبِ الفاعلِ كلمةِ [باب] بصيغةِ المفردِ فقال:

وَتُشفِقُ مِن إحشَامِهَا بِمَقَالَةٍ إِذَا حَضَرَت ذَا البَتِ غُلِّقَ بَابُهَا

٣. يرى الصبَّانُ أنَّ الفعلَ المجرّد «كَسَبَ» لا يُستعملُ إلَّا إذا كان التحصيلُ بلا سعيٍ وقصدٍ، فتقولُ: «كَسَبتُ المَالَ»، إن لَم يَكن بِسَعيٍ وَقَصدٍ، كَالمَالِ المَوروثِ.

والصوابُ أَنَّ المجرَّدَ كَسَبَ يَدلُّ على حدوث «الكَسبِ» عموماً، سَوَاءٌ أَكَان بسعيٍ وقصدٍ، أم بلا سعيٍ ولا قصدٍ. قال تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] . ولا يَختَلِفُ اثنانِ في أَنَّ كَسبَ السارقِ وَالسارقَةِ لا يَكونُ إلَّا بالسعيِ والقصدِ في الغالبِ، وأنَّ السارِقَ والسارقةَ لَا يُعاقَبَانِ بِمَا كَسَبَاهُ مِنَ المَالِ الموروثِ. وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] . والأمرُ بالإنفَاقِ ليسَ مقصورًا على مَا يَكسبُهُ الإنسَانُ بلا سعي ولا قصدٍ ، وليسَ الأمرُ بالإنفاقِ مقصورًا على ما يكسبُهُ الإنسانُ من المالِ الموروثِ .

تخصيصُ صِيَغِ الجُمُوعِ بِالقِلَّةِ والكَثْرَةِ

ومن صورِ التخصيصِ الصرفي : القولُ بدلالةِ بعضِ صيغِ الجموعِ على القلَّةِ، ودلالةِ الصيغِ الأخرى على الكثرةِ. وقد ذهبَ إلى هذا القولِ الخليلُ في «العينِ »، وسيبويهِ في «الكتابِ». وقد وافَقَهُما أكثرُ العلماءِ على هذا القولِ، حتى لا تكادُ تَجِدُ عالِمًا من القدامى خالَفَهُما في ذلكَ.

وأنكرَ بعضُ المُحدَثينَ هذا التقسيمَ، ولعلَّ ظَاهر خَير الله أولُ من سَبَقَ إلى ذلك، فَقَالَ: ((قِسمَتُهُم جُمُوعَ التَّكسِيرِ إلى جُمُوعِ قِلَّةٍ وَجُمُوعِ كَثرَةٍ مِمَّا لا أَصلَ لَهُ فِي اللُّغَةِ))، وقال أَيضًا: ((إنَّ القَولَ بِأَنَّ بَعضَ الجُمُوعِ لِلقِلَّةِ وَبَعضَهَا لِلكثرة لا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا يُسنِدُهُ شَيءٌ فِي اللُّغَةِ)).

وقد فصَّل المؤلف القولَ في هذه المسألِة، وذكر النصوصَ القرآنيةَ الدالةَ على بطلانِ هذا التقسيمِ في كتابه: "العمومُ الصرفيُّ في القرآنِ الكريمِ"، وزاد أمثلةٌ من الشعرِ العربي استُعمِلَ فيها صيغُ الجموعِ استعمالًا عامًّا، معَ القليلِ والكثيرِ، وكانتِ القرائنُ السياقيةُ هي التي تُحدِدُ القلةَ والكثرةَ :

أولًا : صيغة (أفعُل) :

* « أَشْهُر – شُهُور »:

فعلى وفقِ مذهبِ القلةِ والكثرةِ تكونُ صيغةُ الجمعِ «شُهُور» للكثرةِ وصيغةُ الجمعِ «أَشْهُر» للقلةِ. وبالرجوعِ إلى الشعرِ العربي نجدُ ما يعارضُ هذا المذهبَ صراحةً، وفيما يأتي بعضُ الأمثلةِ الدالةِ على استعمالِ كلمةِ «شُهُور» في مقامٍ يدلُّ على القلةِ : قال تأبط شرًّا:

فَعُدُّوا شُهُورَ الحُرمِ ثُمَّ تَعَرَّفُوا قَتِيلَ أُنَاسٍ أَو فَتَاةً تُعَانِقُ

والشهورُ الحُرُمُ أربعةٌ والأربعةُ من أعدادِ القلَةِ، وقد استعمَلَ الشاعرُ كلمة «شُهُور»، وهيَ للكثرة، ولم يستعمِلْ كلمةَ أَشْهُر، وهي للقلةِ ، وقال تأبط شراً أيضاً:

وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمحِ بَارِزَةٍ ضَحيَانَةٍ في شُهُورِ الصَّيفِ مِحرَاقِ

وشُهورُ الصيفِ أربعةٌ، ولا يمكنُ أن تزيدَ في بلاد العرب على ستةٍ أبداً، ومع ذلكَ قال الشاعر: " شُهُور الصَّيفِ"، ولم يقل: "أَشهُر الصَّيفِ".

* «أَعْيُن - عُيُون» :

فعلى وفقِ مذهبِ القلةِ والكثرةِ تكونُ صيغةُ الجمعِ «أَعيُن» للقلةِ، وصيغةُ الجمعِ «عُيُون» للكثرةِ. وبالرجوعِ إلى الشعرِ العربِي نجدُ ما يُعارِضُ هذا المذهبَ، وفيما يأتي بعضُ الأمثلةِ الدالَّةِ على استعمالِ كلمةِ «أَعيُن» في مقامٍ يدلُّ على الكثرةِ:

قال المهلهلُ بنُ ربيعةَ:

وَنَرَى سِبَاعَ الطَّيرِ تَنقُرُ أَعيُناً وَتَجُرُّ أَعضَاءً لَهُم وَضُلُوعًا

ويقصدُ الشاعر بالأعينِ هنا أعينَ أعدائِهِ بعدَ قتلِهِم في المعركةِ، وهي كثيرةٌ بلا شَكٍ في هذا المقامِ. وقد جَمَعَ في هذا البيتِ بينَ «الأعْيُنِ» و «الضُّلُوعِ»، ولم يقل: «الأضْلُع»؛ لأنَّ معنى الكثرة لا يُستمدُّ من الصيغةِ الصرفيةِ، بل من القرائنِ المحيطةِ بها. - قال عنترةُ بنُ شدّاد:

وَتَسْهَرُ لِي أَعْيُنُ الحَاسِدِينَ وَتَرقُدُ أَعْيُنُ أَهلِ الوِدَادِ

وسواءُ أكانَ الحاسدونَ أكثرَ أم أهلُ الوِدادِ، فقد أَضافَ عنترةُ كلمةَ أَعيُن إلى كلٍ منهما، وفي هذهِ الإضافةِ دليلٌ على أنَّ صيغةَ «أفعُل» ليستُ مُختصَّةً بجمعِ القليلِ.

* «أَكُفّ ـ كُفُوف»:

فعلى وفقِ مذهبِ القلةِ والكثرةِ تكونُ صيغةُ الجمعِ أَكُفّ القلةِ، وصيغةُ الجمعِ كُفُوف للكثرةِ.

وبالرجوعِ إلى الشعر العربي نجدُ ما يُعارِضُ هذا المذهبَ ، وفيما يأتي بعض الأمثلةِ الدالةِ على استعمالِ كلمةِ «أَكُفّ» في مقامِ الكثرةِ :

- قال جميلُ بثينة:

إِذَا قَصَّرَت يَومًا أَكُفُ قَبِيلَةٍ عَنِ الْمَجدِ، نَالَتْهُ أَكُفُ جُذَامِ

لقد أضافَ الشاعر كلمةَ «أَكُفّ» إلى كلمةِ «قبيلة»، وأفرادُ القبيلةِ الواحدةِ كثيرونَ جدًّا، فتكونُ أَكُفُّهُم أيضًا كثيرةً جدًّا .

*«أَنْفُس – نُفُوس» :

فعلى وفقِ مذهبِ القلةِ والكثرةِ تكونُ صيغةُ الجمعِ «أنفُس» للقلةِ، وصيغةُ الجمعِ «نُفُوس» للكثرة. وبالرجوعِ إلى الشعرِ العربي نجدُ ما يعارضُ هذا المذهبَ، وفيما يأتي بعضُ الأمثلةِ الدالةِ على استعمالِ كلمةِ «أَنْفُس» في مقامٍ يدلُّ على الكثرةِ:

- قال زهيرُ بنُ أبي سلمى :

وَيَبْقَى بَيْنَنَا قَذَعٌ، وَتُلْفَوْا إِذَا قَومٌ بِأَنفُسِهِم أَسَاؤُوا

-قال مجنونُ ليلى:

أَنفُسُ العَاشِقِينَ لِلشَّوقِ مَرضَى وَبَلَاءُ المُحِبِ لَا يَتَقَضَّى

*«أَبْيَات - بُيُوت» :

فعلى وفقِ مذهبِ القلةِ والكثرةِ تكونُ صيغةُ الجمعِ «أَبْيَات» للقلةِ، وصيغةُ الجمعِ «بُيُوت» للكثرةِ. وبالرجوع إلى الشعر العربي نجدُ ما يعارضُ هذا المذهبَ، وفيما يأتي بعضُ الأمثلةِ الدالةِ على استعمالِ كلمةِ «أَبيَات» في مقامٍ يدلُّ على الكثرةِ: قال أوسُ بنُ حَجَر:

نُبِئتُ أَنَّ بَني سُحَيمٍ أَدخَلُوا أَبيَاتَهُم تَامُورَ نَفسِ المُنذِرِ

ونجد ذا الرمّة يَستعمِلُ كلمةَ «بُيُوت» في مقامِ القلةِ، فيقولُ:

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ بُيُوتَ الْعِزِ أَرْبَعَةً كِبَارَا

وواضحٌ أنَّ بيوتَ العِزِ هنا أربعةٌ والأربعةُ من أعدادِ القلةِ عند العلماءِ، فتكونُ صيغةُ الجمعِ «بُيُوت» صالحةً للقليلِ والكثيرِ.

فهذه الشواهدُ من الشعرِ العربيِ المحتجِ به تشهدُ ببطلانِ ذلك التقسيمِ الشائعِ للجموعِ على جموع قلةٍ وجموعِ كثرة؛ فإنَّ صيغَ الجموعِ تدلُّ على معنى «الجَمْعِ» عمومًا، وليس فيها تنصيصٌ على القليلِ أو الكثيرِ، والقرائنُ السياقيةُ هي التي تُحدِدُ المقصودَ منهما.

ومن أمثلة صيغة (أفعُل) ما جاء في القرآن الكريم (الأعْيُن) جَمْعُ (الْعَيْنِ) ، وَالْبَدِيلُ: (الْعُيُونُ) ، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ «الْأَعْيُنُ مَعَ الْكَثِيرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] . فَأَعْيُنُ النَّاسِ، الْمَقْصُودِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَثِيرَةٌ، بِلَا إِشْكَال ، قال ابْنُ سِيدَه: ((وَزَعَمَ اللَّحْيَانِي أَنَّ أَعْيُنَا قَدْ يَكُونُ لِلْكَثِيرِ أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْكَثِيرَ)). وَقَالَ د. فَاضِلَ السَّامَرَائِيُّ : ((وَفِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مَوْطِنًا بِمَعْنَى الْبَاصِرَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] . وَهُمُ الْكُفَّارُ، وَهُمْ كَثْرَةٌ ، وَلَا شَكٍّ، تَرْبُو أَعْيُنُهُمْ عَلَى الْعَشَرَة))

وَقَدْ تَعَسَّفَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَتَمَتَّلُوا؛ لِرَفْعِ التَّعَارُضِ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْأَعْيُنِ» مَعَ الْكَثِيرِ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَغَيْرِهِ، وَبَيْنَ الْقَاعِدَةِ الدَّلَالِيَّةِ؛ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي : ((قِيلَ: أَتَى بِجَمْعِ الْقِلَّةِ فِي قَوْلِهِ: أَعْيُنٍ ، لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَقَلُّ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقِيلَ: بَلْ جَمْعُ الْقِلَّةِ قَدْ يأْتي في موضع الكَثرَةِ، وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ : ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ . وَالْأَوَّلُ أَوْلَى)).

ثَانِيًا ـ صِيغَةُ (أَفْعَالِ) :

ومن أمثلته (الآثارُ) : جمعُ (الْأَثَرِ) وَالْبَدِيلُ: (الْأُثُورُ) ، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ (الْآثَارُ) مَعَ الْكَثِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ ﴾ [الروم: ٥٠] و (الآصالُ): جَمْعُ الْأَصِيلِ»، وَالْبَدِيل: «الْأَصْلُ، وَالْأَصْلَانُ»، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَصَالُ مَعَ الكَثِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]

ثَالِثًا ـ صِيغَةُ (أَفْعِلَةٍ):

ومن أمثلته (الْأَذِلَّةُ) : جَمْعُ (الذَّلِيلِ) ، وَالْبَدِيلُ: «الْأَخِلَّاءُ وَالضَّلَالُ، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَذِلَّةُ» مَعَ الْكَثِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ .

و (الْأَعِزَّةُ) : جَمْعُ (الْعَزِيزِ) وَالْبَدِيلُ: «الْأَعِزَّاءُ وَالْعِزَازُ، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَتِ «الْأَعِزَّةُ مَعَ الْكَثِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]

رابعًا ـ صِيغَةُ (فِعْلَة) :

وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّيغَةُ مَعَ الْقَلِيلِ فِي كَلِمَتَيْنِ، هُمَا: (الْفِتْيَة) في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣] ، وَأَصْحَابُ الْكَهْفِ لَا يَتَجَاوَزُونَ السَّبْعَةَ، بِلَا خِلَافٍ

و (النِّسْوَة) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠] .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠] . وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ وَالْمَقَامِ أَنَّ عَدَدَ النِّسْوَةِ لَا يَتَجَاوَزُ الْعَشَرَةَ. وَإِلَى هُنَا، يَبْدُو الْقَوْلُ بِدِلَالَةِ صِيغَةِ فِعْلَةٍ عَلَى الْقِلَّةِ وَجِيهًا؛ وَلَكِنَّ عموم هذه الصيغة يَتَبَيَّنُ بَعْدَ الرجوع إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (﴿ كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] ، ففي آية الحجُرَاتِ اسْتُعْمِلَتْ كَلِمَةُ (إِخْوَةِ) مَعَ الْكَثِيرِ، مَعَ وُجُودِ الْبَدِيلِ: (الْإِخْوَانِ) ، وفي آيَةِ يُوسُفَ اسْتُعْمِلَتْ مَعَ الْقَلِيلِ؛ لأَنَّ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام»، في هَذَا الْمَقَامِ عَشَرَةٌ وَفِي آيَةِ النِّسَاءِ اسْتُعْمِلَتِ اسْتِعْمَالًا عَامًا، فَقَدْ يَكُونُ إِخْوَةُ الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ قِلَّةٌ، وَهُوَ الْغَالِبُ، وَقَدْ يَكُونُونَ كَثْرَةٌ ، فَوُرُودُ كَلِمَتَي: (الْفِتْيَةِ وَالنِّسْوَةِ) مَعَ الْقَلِيلِ، لَا يُعَارِضُ الْقَوْلَ بِعُمُومِهِمَا؛ لأَنَّ الْعَامَ يُسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ مع القليل ، ويستعمل في سياقات أخرى مع الكثير ، وذلك نحو ما تقدم من استعمال كلمة (أخوة) .

الشواهد القرآنية الدالة على عُموم صيغ الكثرة من جهة الدلالة على القليل والكثير ومنها :

أَوَّلا ـ صِيغَةُ (فِعَالٍ) :

ومن أمثلته (الثِّيَابُ): جَمْعُ (الثَّوْبِ) ، وَهِيَ صِيغَةٌ عَامَّةٌ تُسْتَعْمَلُ لِلْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْبَدِيلُ: «الْأَثْوَابُ). فَمِنْ أَمْثِلَةِ الْقِلَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ ثِيَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فِي هَذَا الْمَقَامِ، قَلِيلَةٌ لَا تَزِيدُ عَلَى الْعَشَرَةِ. وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْكَثْرَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] . وَثِيَابُ أَصْحَابِ جَهَنَّمَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، بِلَا خِلَافٍ.

ثَانِيًا - صِيغَةُ (فَعُول):

ومن أمثلته (البُيُوتُ): جَمْعُ (الْبَيْتِ)، وَهِيَ صِيغَةٌ عَامَّةٌ، تُسْتَعْمَلُ لِلْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْبَدِيلُ: (الأبيات) . فَمِنْ أَمْثِلَةِ الْقِلَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وَوَاضِحٌ أَنَّ بُيُوتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، بِعَدَدِ أَزْوَاجِهِ، وَقَدْ كُنَّ تسعًا ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣]